



اللغة العربية في سياق اللغات السامية

Bahauddin

STAI Taswirul Afkar Surabaya
(bahauddin90@gmail.com)

Abstract

The birth of Arabic in the form of what is now started from a long civilization in the past. The scientists then classified the language, including the language revealed by Noah's children who later spread in various languages in the world, especially Arabic. Sam language became the language of his Arabic ancestors. But what is the difference between these languages and other European languages? This needs to be known so that the horizon related to the language is wide open.

Keywords: arabic (العربية), Sam (سام), language (اللغة)

تمهيد

(اللغات السامية) مصطلح حديث يطلق على مجموعة من اللغات المتقاربة نسبة إلى سام أحد أولاد نوح. وأول من أطلق هذا المصطلح هو شلوتسر (Schözer) عام (١٧٨١ م) عندما كان يبحث عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش الذين ظهر في لغاتهم نشابه وصلات قرابة. وكان يشار قبل إطلاق هذا المصطلح إلى لغات آسية وشعوبها باسم جامع اللغات والشعوب الشرقية.

فالساميون هم أبناء سام بحسب ما ورد في النص التوراتي الذي أتى على ذكر شعوبهم وفق ما أراده. فبنو إسرائيل أقصوا عن جدول بني سام شعبا من أهم الشعوب السامية هو

الشعب الكنعاني، وأدخلوا بالمقابل شعيب آخرين هما (عيلام) و (لود) في جدول بني سام، على الرغم من أنه ليست هناك صلة قرابة بين هذين الشعبين من جهة، كما أنه ليست بينهما وبين الشعوب السامية أي من جهة أخرى.^١

ومع أن كلمة (سامية) غدت علما على فرع من الدراسات اللغوية في هذا العصر، فإن بعض الدراسين العرب ما يزال يحاول إيجاد تسمية تكون أكثر صراحة وأصدق دلالة على واقع تلك الشعوب ولغاتها، على حين ما يزال أغلب الدارسين يستملونها على سبيل الاضطرار دون أن يسلموا بصحتها أو يعتقدوا صوابها.

وهناك آراء لا يستهان بها في هذا الصدد، فقد ضاق بكلمة (سامية) الكثير من علمائنا وباحثينا فانتقدوها وبينوا ظلمها للعروبة. فالحقائق التاريخية والوقائع. اللغوية تشير لى هؤلاء الباحثين إلى أن (العروبة) حقيقة تاريخية ثابتة تدل على موطن واحد محدد سكنته أمة قديمة تكلمت لغة واحدة.^٢

لا يستطيع المؤرخون أن يجزموا براء قاطع أو يأخذوا بدليل علمي يبينون به الأصل اللغوي الذي انشعبت منه اللغة العربية وأخواتها السامية التي تنسب إلى أب تاريخي مجهول. وغاية ماتوصل إليه الباحثون أن اللغة العربية هي إحدى اللغات التي أطلق عليها العالم شلوتزر Schözer اسم (اللغات السامية) أي المنسوبة إلى سام بن نوح معتدا على جدول أنساب النبي نوح المذكور في التوراة.

ومن هذه اللغات السامية: البابلية – الآشورية ، والعبرية ، والآرامية (ومنها السريانية) ، والكنعانية ، والجبشية ، وقد انقرض جل هذه اللغات.

ويختلف المؤرخون في موطن اللغات السامية الأول اختلافهم في موطن الأمم السامية الأول، ويميل جمهورهم إلى أن مهد هذه الأمم كان في أرض بابل ، في العراق ، ومن ثم انتشروا في شتى الأنحاء.

وكذلك يختلفون في أي هذه اللغات أقرب إلى السامية الأم ، ويرى بعض المتشركين أنها العربية ، وربما كان لانعزال الأمة العربية في جزيرتها التي تحف بها الصحارى والبحار ما يقوي

^١ بروكلمان ، فناء اللغات السامية: ٣٥ - ٣٦

^٢ مصدر سابق: ٣٨

هذا الرأي ، ولاسيما أن علماء اللغات قد وجدوا في هذا الرأي لعدم توافر الأدلة. ومهما يكن من أمر فإن هذه اللغات بجملتها من سامية وغيرها يمكن أن تتصل في سلسلة الحياة اللغوية بأصل واحد هولغة الإنسان الأولى التي لاتزال هي الأخرى مختبئة في ضمير الزمن.^٣

أقسام اللغات السامية (العربية)

تقسم اللغات السامية إلى شرقية وغربية ، كما تقسم الغربية إلى غربية شمالية وغربية جنوبية.

١. فالسامية الشرقية هي الأكادية بفرعيها البابلية والآشورية ، ونقوشها مكتوبة بالخط المسماري على الطين الجفف ، ومن أهم هذه النقوش ، ذلك النقش الذي دون به قانون (حمرابي) المشهور.^٤

والأكادية تنسب إلى مدينة (أكاد) التي بناها سرجون في الجزء الشمالي من أرض بابل حوالي (٢٣٥٠ ق.م) لتكون عاصمة لدولته ، وهي أولى الدول التي أنشأها الساميون في أرض الرافدين. وقد أسفرت الحفريات الكثيرة عن مجموعة ضخمة من النقوش التي يرجع الفصل في حل رموزها إلى العالم الإنكليزي رولنسون (Rawlinson) في عام (١٨٤٧ م) ، ومن الجدير بالذكر هنا أن سكان تلك المنطقة قبل أن يهاجر إليها الساميون هم شعيب مجهول الأصل يستمى الشعب السومري. وكانت له هناك حضارة زاهرة ولغة راقية وأسلوب خاص في الرسم عرف بالخط المسماري.^٥

٢. أما السامية الغربية فتقسم إلى قسمين : سامية غربية شمالية ، وسامية غربية جنوبية. أ. فالسامية الغربية الشمالية تضم الكنعانية والآرامية

وتقسم الكنعانية إلى شمالية وجنوبية، والكنعانية لغة تلك الشعوب السامية التي تزحت من بلاد العرب ، واستقرت ببلاد فلسطين وسورية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، وأنشأت بهذه المناطق حضارات زاهرة قبل أن ينزح إليها الآراميون بأكثر من ألف سنة ، أو

^٣ طرق تدريس اللغة العربية : ١٤ - ١٥

^٤ مصدر سابق : ٧١

^٥ مصدر سابق : ٧٣

ألف وخمسمئة سنة.

وتمثل اللغة (الأوغاريتية) المنسوبة إلى أوغاريت الشمالي من الكنعانية، فقد عثر عام (١٩٢٩) في منطقة أوغاريت شمالي اللاذقية قرب رأس شمرا على نقوش كثيرة تشابه اللغة الأكادية، إذ كتبت بالخط المسماري الذي يسير على النظام مزدهرة في القرن الرابع عشرق.م لكن أقوام البحر القادمين من جزر بحرايجة دمروها في القرن الثالث عشرق.م.

أما الكنعانية الجنوبية فتمثل في اللغة العربية التي كنت بها (العهد القديم) ومن أقدم المصادر عن العبرية نقش عثر عليه في مدخل نفق (السلوان) بالقرب من بيت المقدس ، ويتحدث النقش المذكور عن انتهاء حفر ذلك النفق ، ويرجع تاريخ تدوينه إلى القرن السابع قبل الميلاد ، وثم اكتشافه عام (١٨٨٠ م). ومن أهم ما وصل إلينا من مصادر العبرية القديمة قصيدة دينية حماسية جاءت في سفر القضاة ، وتحدث هذه القصيدة عن فوز القائد (باراق) الإسرائيلي على (سيسرا) قائد الكنعانيين . ويظن أن هذه المكيمة عاشت حوالي القرن الثاني عشرق قبل الميلاد.

ويضم القسم الثاني من أقسام السامية الغربية الشمالية (اللغة الآرامية) والآرامية لغة القبائل الآرامية التي كانت تنتقل في أطراف الجزيرة العربية بالقرب من الخليج العربي ، وفي مناطق جنوبي سورية . ولقد الهجرة الآرامية نواحي سورية حولي القرن الخامس عشرق.م، أي بعد مرور ألف وخمسمئة عام على استقرار الكنعانيين فيها. وأما في الشرق فقد عانى ملوك بابل وأشر الأمرين في قتال القبائل الآرامية التي دأبت على شن الغارات ونشر الرعب على الحدود ، ويبدو أن نفوذ الآراميين أخذ يتغلغل في تلك البلاد منذ عصر سحيق في القدم مما أدى إلى انتشار لغتهم والقضاء على مناطق الأكديّة منطقة إثر أخرى.^٦

كما اشتبكت الآرامية مع لغات الكنعانيين ، فقضت على العربية وعلى الفينيقية وأصبحت بذلك اللغة السائدة في التخاطب في بلاد الرافدين وسورية وما إليها ، وقد بلغت عنفوان مجدها وأقصى درجات اتساعها بين سنتي (٣٠٠ ق.م و ٦٥٠ بعد الميلاد) ، وكان لها إضافة إلى ذلك منزلة اللغة الدولية في عدد من المناطق المجاورة ولاسيما في فارس وآسية الصغرى ومصر.

^٦ فصول في فقه العربية: ٢٥ - ٢٦

أشهر الآراء في فصائل اللغات

وقد اختلف العلماء اختلافا كبيرا في تقسيم اللغات تبعا لاختلافهم في الأساس الذي يقوم عليه هذا التقسيم.

ولكن أشهر النظريات وأميلها بهذا الصدد هي نظرية مكس مولر Max Muller التي تراعى في تقسيم اللغات إلى فصائل أن يجمع أفراد كل فصيلة منها صلات قرابة لغوية ، فتتفق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل وما إلى ذلك ، وتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة ، ترجع إلى أصول شعيب واحدة أو متقاربة ، وتؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية.^٧

وعلى هذه الأسس ترجع نظرية مكس نظري مكس مولر جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل : الفصيلة الهندية الأوروبية ، والفصيلة السامية الحامية ، والفصيلة الطورانية ، وستكلم على كل فصيلة منها على حدة فما يلي :

الفصيلة الأولى : الهندية الأوروبية Languages Indo – Européennes

تشمل هذه الفصيلة ثمان طوائف من اللغات ، وهي :

١ . ((اللغات الهندية – الإيرانية)) أو ((اللغات الآرية)) وتشمل شعبتين^٨ :

إحدهما شعبة اللغات الهندية (السندسكريتية Sanskrit والبراكريتية Parkrit واللغات الهندية الحديثة Languages Neo-Indoues الخ)

والأخرى شعبة اللغات الإيرانية (الفارسية القديمة Vie perse ؛ والأفستية والزند – أفستية Avestique et Zend Avestique وهي لغة الأسفار المقدسة المسماة الأفستا وشرحها المسمى الزند – أفستا ؛ والمهلوية Pehlvi ؛ والفارسية الحديثة Neo – Persan ؛ والكردية Kurde ؛ والأسيتية Ossete ، وهي لغة الأسيتين Ossetes وهم سكان القوقاز الأسط ؛ والأفغانية وهلم جرا).

^٧ المصدر السابق : ٣٦

^٨ وحصائص اللغات السامية : ١٤

٢. ((اللغات الأرمنية)) Languages Armeniesnnes

٣. ((اللغات الإغريقية)) وتشمل اللغات اليونانية القديمة ، وأشهر هذه اللغات : اليونانية – الاتيكية ، والدورية ؛ وتشمل كذلك اللغات اليونانية التي تكون في القرون السابقة للميلاد وقادمت على أنقاض اللغات اليونانية القديمة ، واشهرت عند علماء اللغات باسم ((اليونانية الحديثة)) ؛ وتشمل كذلك اللغات اليونانية في العصر الحاضر).
٤. الألبانية.

٥. "اللغات الإيطالية" وتشمل الأسكية Osque ، والأمبرية السمنية – Ombrien Samnite ، واللاتينية ، واللغات الرومانية Langues Romanes وهي المتفرعة من اللاتينية كالفرنسية والبرتغالية والإيطالية والإسبانية ولغة رومانيا الخ).

٦. "اللغات الكلتية" Langues Celtiques (التي كانت)

٧. "اللغات الجرمانية" Languages Germaniques

٨. "اللغات البطيكية - السلافية" وتشمل شعبتين :

إحدهما : شعبة اللغات البلطيقية : وهي الليتوانية Lituanienne (لغة لتوانيا Lettonie) واللتونية Lette (لغة ليتوانيا Lituanie أو لاتفيا Latvia) والبروسية القديمة: والأخري شعبة اللغات السلافية أو الصقلبية : وهي السلافية

الفصيلة الثانية : الحامية – السامية Langues Chamito - Semitques

تشمل هذه الفصيلة مجموعتين من اللغات : إحدا هما مجموعة اللغات السامية ؛ وثانيهما مجموعة اللغات الحامية.

وتشتمل المجموعة الأولى على طائفتين :

١. اللغات السامية الشمالية وتشمل اللغات الأكادية Accadien أو الأشورية البابلية Assyro – Babylonniennes ، واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية). واللغات الآمية.
٢. اللغات السامية الجنوبية وتشمل العربية واليمينية القديمة واللغات الحبشية السامية.

وأما مجموعة اللغات الحامية ، فتتظم ثلاث طوائف :

أ. اللغات المصرية ، وتشمل المصرية القديمة والقبطية.

ب. اللغات الليبية أو البربرية ، وهي لغات السكان الأصليين.

لشمال أفريقيا (طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والصحراء والجزر المتاخمة لها) ، فتشتمل اللغات القبلية Kabyles ،

٣. اللغات الكوشيتية Couchitiques وهي لغات السكان الأصليين للقسم الشرق من أفريقيا المحصورين درجة العرض الرابعة جنوب خط الاستواء وحدود مصر (ما عدا المناطق الحبشية الناطقة بلغات سامية والتي تقدم ذكرها في المجموعة الأولى ، وما عدا المناطق السودانية إليها التي سيأتي ذكر لغاتها في الفصيلة الثالثة) ، فتشمل اللغات الصومالية ولغات الجالا ، والبديجا ، ودنقلة ، والآجاو ، والأفار أو الساهو ، والسيداما إلخ. Somalie, Galla, Bedja, Dankali, Agaw, Afar, ou Saho

الفصيلة الثالثة : اللغات الطورانية Language Taouraniennes

أطلق مكس مولر وبونسن Bunsen اسم "اللغات الطورانية" ، على طائفة من اللغات الآسيوية والأوروبية التي لا تدخل تحت فصيلة من الفصيلتين السابقتين ، كالتركية والتر كمانية والمغولية والمنشورية والفينية وهلم جرا ؛ وتابعهما في ذلك كثير ممن جاء بعدهما". فاللغات الطورانية ليست إذن فصيلة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة أي مجموعة ترجع إلى أصول واحدة ويجمع بين أفرادها صلات نشابة وقرابة ، بل هي أمشاج من لغات لا يؤلف بينها إلا صفة سلبية.

خلاصة

فقد نشأت اللغة العربية ، كما نشأت سائر اللغات التي عرفتها امم العالم ، من طريق الإشارة ومحاكاة اصوات الطبيعة والحيوان. ثم عملت فيها عوامل النمر والنطور حتى نضجت واكتملت كما أن اللغة العربية فرع من فصيلة كبيرة.

المراجع

- طعيمة, رشدي أحمد. ١٩٨٩. تعليم العربيّة لغير النّاطقين بها. القاهرة: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة .
- طعيمة, رشدي أحمد ومحمد السيد المناع. ٢٠٠١ . تدريس العربية في التعلم العام، نظريات وتجارب. دار الفكر العربي .
- عزاوي. ٢٠٠٣ م . بناء برنامج للاستماع لتلاميذ الصف الرابع الابتدائي في ضوء كفاياتهم اللازمة. جامعة بغداد .
- منظور, ابن, جمال الدين محمد. ١٩٩٢ . لسان العرب. بيروت: دار احياء التراث العربي, طبعة ٢٠٠٢ .
- يونس, فتحي علي وعيد الزّؤوف الشيخ. ٢٠٠٣ م . المرجع في تعليم اللغة العربيّة للأجانب, القاهرة: دار مكتبة وهيبة .